إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«هوذا حمل الله»

(١: ١٩-٥١)

تأليف: بروس مكلارتي

يبدأ نص درسنا هذا (يوحنا ١: ١٩-٥١) بمثل هذا الاحساس بعدم اليقين والارتباك. شيء عظيم ورائع كان يحدث للذين كانوا جزء من هذه الاحداث، ولكن لم يعرفوا يقيناً كيف يستجيبوا لها. جاء يسوع إلى عالم كان ينتظر شيء بشوق، ولكن المشكلة الوحيدة هي ان الناس لم يكونوا يعرفون يقيناً ما هو ذلك الشيء. يبدأ هذا الجزء من إنجيل يوحنا باظهار وبواسطة شهود عيان من كان عليه يسوع الناصري هذا حقاً.

شهادة يوحنا المعمدان (١: ١٩-٣٤)

بحلول الوقت الذي جاء فيه يسوع ليعتمد في نهر الأردن، كان يوحنا المعمدان قد أثار ضجة غير قليلة في اليهودية. كان مظهر النبي الذي فيه وتبشيره النبوي القوي بان ملكوت الله كان قد اقترب قد جذب الناس من أورشليم و«من كل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن» إلى المكان الذي كان يعمد فيه يوحنا (متى ٣: ٥). ربما لأن الكثيرين كانوا يتوقعون ان المسيح سيجمع أتباعه في البرية (أنظر أعمال ٢١: ٣٨)، بدأ الناس يفكرون عمن كان يوحنا المعمدان حقاً. وعندما اصبح المضوع اكثر اثارة، أرسل قادة اليهود بعض الكهنة ولاويين من أورشليم ليروا ما كان يقوله يوحنا المعمدان عن نفسه (١: ١٩).

يبدو بأن في كل من تبشيره وحديثه كان يوحنا المعمدان إنساناً صريحاً لا يدع لما يقول مجالا للشك. قال للرجال الذين جاءوا من أورشليم: «أني لستُ أنا المسيح» (١: ٢٠). وقال أيضاً بانه لم يكن إيليا عائد من الموت، ولا النبي الذي تحدث عنه موسى (١: ٢١؛ أنظر تثنية ١٨: ١٥). وباختصار كان يقول بانه ليس الشخص الذي كانوا ينتظرونه. بل اقتبس من إشعياء ٤٠: ٣ وعرّف نفسه بانه «صوت صارخ في البرية: قوّموا طريق الرب» (١: ٢٣). كان هو المرسل الذي يتقدم يسوع. كان يأتي بعد يوحنا المعمدان من لا يستحق يوحنا ان يحل رباط حذائه.

كان يوحنا المعمدان أميناً لكلمته ولعمله وفي اليوم التالي عندما رأي يوحنا يسوع آتياً نحوه، صرح قائلاً: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم!» (١: ٢٩). مع ان معمودية يسوع غير مدونة في إنجيل يوحنا، إلا ان يوحنا أشار إلى ذلك الحدث إذ قال بانه رأي روح الله نازلاً مثل حمامة من السماء واستقر على يسوع (١: ٣٢). ثم اعترف قائلاً: «... هذا هو ابن الله» (١: ٣٤)، وكان حمل الله الوحيد.

شهادة أندراوس (١: ٣٥-٤٢)

وفي اليوم التالي قال يوحنا المعمدان لتلميذيه عن يسوع بانه «حمل الله»، فتركا يوحنا وتبعا يسوع. وبدأ أحدهما الذي يقال له أندراوس يسمي يسوع «ربّي» أي «معلم» (١: ٣٨)، مما يشير إلى انه كان مستعداً ليتبعه ويكون له تلميذاً. كان السبب من اتباع يسوع أعمق بكثير من مجرد اعجابه بحكمة يسوع. فوجد أخاه سمعان بطرس وقال له: «قد وجدنا

مسيا» (١: ٤١). إلى هنا قد أُعْلِن يسوع بانه حمل الله، وابن الله، و«ربّي»، و«مسيا».

شهادة فيلبس ونثنائيل (١: ٤٣-٤٩)

دعى يسوع فيلبس بكلمة فيها تغييراً للحياة: «اتبعني» (١: ٤٣). فوجد فيلبس نثنائيل وقال له بانهم قد وجدوا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء، يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة (١: ٤٥). لم تظهر استجابة نثنائيل الكثير من التفائل، إذ سأل بسخرية: «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟» (١: ٤٦). مع ان نثنائيل لم يكن معجباً إلا انه ذهب مع فيلبس ليرى يسوع. وعندما أقبل نثنائيل إلى يسوع، قال له يسوع: «هذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» (١: ٤٧). تعجب نثنائيل كيف عرفه يسوع، فسأله. هزت إجابة يسوع نثنائيل حتى اعماق كينونته: «قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك» (١: ٤٨). ربما كان نثنائيل في تأملات أو كان يصلي تحت التينة، وتشير كلمات يسوع إلى انه كان يعرف ما يفكر فيه نثنائيل. مهما كان السبب في تغييره، فقد تغير سريعاً من شخص ساخر وقاسي إلى تلميذ متفائل، يتفوه باعتراف جوهري: «يا معلم، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» (١: ٤٩).

خلال هذا اللقاءات الأولى بين يسوع وشهود العيان، يبدو بان الناس كانوا يبحثون عن كلمات ليصفوا بها ما آمنوا به عن هذا الإنسان. هذا وكأنهم يحاولون تلوين صورة جميلة لغروب الشمس بينما لم تكن لديهم إلا خمسة أقلام شمع ملونة («حمل»، «ابن الله»، «ربّي»، «مسيا»، «ملك»). لا يكفي لواحد من هذا ان يعبر عن التألق الذي رأوه! كان الأعتراف الأكثر أهمية لم يأتي بعد، لأن يسوع أشار بكلماته في ما بعد إلى من كان هو (٤: ٢٦).

شهادة يسوع (١: ٥٠ و٥١)

يبدو ان يسوع اندهش بعض الشيء بجواب نثنائيل التي بلا تحفظ لمثل هذا الأمر البسيط وهو القول ان يسوع كان قد رأه تحت التينة قبل ان يدعوه فيلبس. أخبره يسوع بانه سيرى عجائب أكثر إثارة للاعجاب من هذا، إذ قال: «الحق الحق أقول لكم: من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان» (١: ٥١). قال بان السماء ستُفتح وتبقى مفتوحة. كان يسوع الناصري يدعي بانه سيغير إلى الأبد العلاقة بين السماء والأرض! لم يكن يعد نثنائيل بلمحة من السماء؛ بل كان يقول بان مجد السماء قد ظهر فيه إلى الأبد. فأشار يسوع إلى نفسه بانه «ابن الإنسان» وهذا ما يفضله لوصف نفسه في الأناجيل. يوجد لهذا التعبير المثير للعجب خلفية غنية في العهد القديم. يبدو بان يسوع قد استخدم هذا الوصف أساساً لأنه كان جزء من لغة نبوية لم تكن ملطخة بسوء الاستخدام في أيامه. كانت عبارتي «مسيا» و«ملك إسرائيل» تشملان على مضامين عسكرية لم يرد يسوع ان يعبر بها عن نفسه، وكانت كل الألقاب الأخرى أوصاف غير مكتملة عمن هو يسوع الناصري. لهذا سمى يسوع نفسه بـ«ابن الإنسان». تشير هذه العبارة إلى ألوهيته وإنسانيته في الوقت نفسه. وهكذا سمح ليسوع ان يعبر بانه هو الذي أشار إليه الأنبياء، وفي الوقت نفسه يمكن ليسوع ان يصف نفسه بطريقته الخاصة.

الخلاصة

ما زلنا في بداية إنجيل يوحنا وتنطبق علينا الكلمات التالية: «سوف ترى أعظم من هذا». حتى ولو كنا نعرف يسوع لسنين، سوف نرى أعظم من هذا. حتى ولو كنا نذهب إلى دروس الكتاب المقدس منذ ان كنا حديثي السن، سنرى أعظم من هذا. حتى ولو كانت لدينا شهادات من جامعات مسيحية، سنرى أعظم من هذا. كلما تطلعنا إلى يسوع الناصري، نرى السماء مفتوحة.

من إحدى المخاطر العظيمة في أية علاقة هو ان يتوقف الشخص عن معرفة الشخص الآخر. الاعتقاد بانك تعرف شخص ما «يقين المعرفة» هو اعتقاد غير دقيق. يكمن

استمرار اية علاقة في الاستمرار بالمعرفة المتبادلة عن الذين يعرفون بعضهم البعض كل ايام حياتهم أو المتزوجون الذين عاشوا معاً لمدة خمسون سنة، ما زال لديهم الكثير ليتعلموه عن بعضهم. أتشعر انت هكذا عن يسوع؟

يذكرنا النص الذي درسناه الآن بان الاقلام الشمعة التي لدينا لم تكفي أو قليلة: الاصناف التي لدينا لوصف يسوع تبقى دائماً غير وافية بالغرض. عند معرفتك لهذا، هل تستمر بطلبه؟ أتسمح له ان يستمر يدهشك؟ أتستمر بالقراءة عنه عالماً بانه سيوبخك ويتحدى افكارك؟ أتسمح ليسوع ان يستمر يعرّف عن نفسه لك بأفعاله وكلماته، بدلاً من تكَون لك افكارك وتصوراتك الخاصة بك عنه؟ إينما كنت تقف في الحياة اليوم، فانك إن كنت تستمر تطلب يسوع في هذا الإنجيل، «سترى أعظم من هذا».

عندما دعى يسوع فيلبس قال له ببساطة: «اتبعني». كانت هناك في ذلك الزمان من حياة فيلبس الكثير التي لم يعرفها عن يسوع. ومع ذلك تبعه – وعندما تبعه بدأ يرى تدريجياً من كان يسوع. إن أردنا ان نفهم يسوع لا بد ان نرغب في ان نتبعه، لأننا عندما نتبعه حينئذ نفهمه.

النصوص المقدسة الواردة في هذا العدد مقتبسة من الكتاب المقدس، إما من ترجمة «كتاب الحياة» طبعة سنة ١٩٨٨ و١٩٩٧، جميع الحقوق محفوظة. أو من ترجمة «فانديك» الترجمة العربية المألوفة والأكثر إنتشاراً.

رؤية شيء جديد

قبل سنوات قليلة، كنت عضواً في كنيسة كان يتم فيها قراءة الكتاب المقدس من البداية إلى النهاية حسب ترتيب معين، وكانت القراءة تتم بالدور. كنا نقرأ في كل اسبوع حوالي ثماني وعشرون صفحة، وفي كل مساء أحد كان ألقاء الوعظة جزءا من قراءة ذلك الاسبوع. كان ذلك خبرة جيدة لكل منا كما كنا نشجع بعضنا البعض اسبوع بعد اسبوع بنفس الطريقة. كلما تذكرت ذلك كنت اتذكر شيخا جليلاً تقياً كان في تلك الكنيسة، وكان يحدثني عادة عن ملاحظة له خلال قراءة الكتاب المقدس في ذلك الاسبوع لم يكن قد لاحظها من قبل. لقد قرأ الكتاب المقدس من بدايته إلى نهايته عدة مرات، ومع ذلك كان يرى بان هناك الكثير ليتعلمه. سأتذكر دائماً نبرة تفائل في صوته عندما كان يقول: «لم ألاحظ هذا من قبل!» كانت شخصية هذا الأخ لا تقارن بالذين يرفضون المزيد من دراسة الكتاب المقدس ويقاومون دراسات النص الكتابي قائلين: «قد عرفنا كل هذا. ما نحتاج إليه هو الحديث عن تطبيقه!»

يوحنا ٣: ١٦

حقيقة: «لأنه هكذا أحب الله العالم».

العمل: «حتى بذل ابنه الوحيد».

التعهد: «لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧